لمحة عامّة عن الإنجيل بحسب مرقس

الأب أيوب شهوان

مُقدِّمة: يَحْفَلُ إنجيل مرقس، الأقصر بين الأناجيل، بكميّة من التعاليم والأمثال الخاصّة به، وبعدد محدود من الخطب، لكنّه يتضمّن بالمقابل روايات رائعة وموحية. لقد وضعه مرقسُ للمسيحيّين الرومانيّين ذوي الأصل غير اليهوديّ، ونتبيّن ذلك من إدراجه كلمات لاتينيّة في إنجيله، ومن تفسيره بعض العادات اليهوديّة لقارئيه.

على خلاف متّى ولوقا اللذّين كرَّس كلٌّ منهما فَصلَين لطفولة يسوع كتمهيد لباقي كلٍّ من الإنجيلَين، وعلى خلاف يوحنّا الذي مهّد لإنجيله بالمقدّمة الرائعة والشهيرة، يبدو أنّ مرقس قد اتّبع تصميمَ تعليمِ الكنيسة الأولى، بدءًا بكرازة يوحنا المعمدان، مرورًا بنشاط يسوع المكثّف في الجليل، ووصولاً إلى الآلام والقيامة.

في قسمٍ أوّل، يركّز مرقس على سلطان يسوع عندما يعلّم الجموع، ويشفي المرضى، ويحثّ الناس على اللحاق به. وفي قسمٍ ثانٍ، يُبرز يسوعَ عرضةً لعداوة السلطات اليهوديّة، ولعدم فهْم تلاميذه فكرةَ الآلام والموت التي كانت تنتظره في أورشليم وعدم تقبّلهم لها.

يجعلنا الإنجيليُّ نكتشف يسوعَ بعَينَي بطرس، التلميذ المملوء غيرةً واندفاعًا، يسير في إثر معلّمه على طرقات فلسطين، لكن دون أن يخفي هفواتِ رأسِ الرسل وردّاتِ فِعْله الحماسيّة.

لكنّ أسلوب مرقس، الذي قد يبدو بسيطًا أو مبسّطًا، يُخفي في الواقع لاهوتًا عميقًا كَتُومًا حول ألوهيّة يسوع، أي حول سرّ ابن الإنسان، الذي يرفض أن يُفصح عَمَّن هو، إذ لا يريد أن يظهر بمظهر المحرِّر المجيد، ويمنع بطرس من أن يُعلِمَ الآخرين أنه المسيح.

فقط عند أقدام الصليب سيُعلِن رجلٌ وثنيٌّ، هو قائد المائة، ويعترف قائلاً: "في الحقيقة كان هذا ابن الله". إلى التبشير بهذه الحقيقة هَدَفَ مرقس من كتابة إنجيله، وإلى الإعلان في الأرض كلّها أنَ الربّ "يسوع هو المسيحُ وابنُ الله".

١ – مؤلِّف الإنجيل: يشهد العهد الجديد أنّ مرقس هو مؤلّف الإنجيل الثاني، وكذلك يفعل عدد من الآباء الكنيسة الأوائل:

– العهد الجديد: يفيد العهد الجديد أنّ مرقس هو نسيبُ برنابا، ورفيقُ بولس في بعض أسفاره (أع ١٢: ٢٥؛ ١٣: ٥؛ ١٣؛ ١٥: ٣٧–٣٩)، وإلى جانبه في سجنه في روما (كول ٤: ١٠؛ فلم ٢٤؛ ٢ طيم ٤: ١١)، وتلميذُ بطرس (أع ١٢: ١٢؛ ١ بط ٥: ١٣).

– شهادة الآباء: يُجمع عددٌ من الآباء الأقدمين على أنّ مرقس هو مؤلّف الإنجيل الثاني، وهم بابياس[١]، ويوستينوس، وإيريناويوس، وترتوليانوس، وإكليمنضوس الإسكندري، وأوريجانوس، وهيبوليتوس الروماني، الذين ينتمون إلى كنائس آسيا الصغرى وأفريقيا ومصر وروما.

٢ – مكان كتابة الإنجيل: هناك ثلاثة آراء حول مكان كتابة إنجيل مرقس، هي التالية:

– مصر، بحسب يوحنا الذهبيّ الفمّ، لكنّ إكليمنضوس الإسكندري وأوريجانوس يرفضان هذا الرأي.

– إنطاكيا، استنادًا إلى بابياس، وإلى وجود بعض الكلمات الآراميّة في الإنجيل، ولكن هذه الحجّة غير كافية.

– روما، وهو رأي معظم علماء الكتاب المقدّس، ويؤيده إكليمنضوس الإسكندري وإيريناوس. يدعم هذه الفكرة تفسير مرقس للكلمات الآراميّة الموجودة في الإنجيل، مثل "طاليتا قومي" (٥: ٤١)، وإفَّتَحْ" (٧: ٣٤)، الخ. كما أنّ هناك مفردات وتعابير لاتينيّة قد تدلّ على أنَّه كتب في روما (١٢: ٤٢؛ ٢: ١٣؛ ٥: ٢٣؛ ١٥: ١٥). ويتفرَّد مرقس بذكر الإسكندر وروفس، ولدَي سمعان القيريني (١٥: ٢١)، ذكر أحدَهما بولس في روم ١٦: ١٣، وهو روفس المعروف في كنيسة روما.

٣ – تاريخ التأليف: هناك آراء متعددة حول تاريخ وضع الإنجيل بحسب مرقس، ولكنها تُجمِع تقريبًا على أنّ ذلك قد تمّ قبل خراب أورشليم سنة ٧٠م، استنادًا إلى أنّ الإنجيليّ لم يأتِ على ذِكْر هذا الحدث، كما أنّ الفصل ١٣ يصف حال أورشليم قبل خرابها، وعليه قد يكون زمن كتابة هذا الإنجيل حوالى سنة ٦٨م.

٤ – أسلوب مرقس: من المؤكّد أن لمرقس أسلوبًا عفويًّا رشيقًا، ورونقًا حيًّا، ووصفًا دقيقًا، على الرغم من الطابع الشفهيّ المبسّط، المأخوذ عن تقليد الجماعة المسيحيّة الأولى.

تميّز مرقس بأسلوبٍ خاصّ به، نتبيّنه من المعطيات التالية:

- يميل إلى الكتابة البسيطة السهلة، وإلى الابتعاد عن التعقيدات اللغويّة.

- يستخدم الجمل القصيرة، والكلمات التي تشير إلى الوقت مثل "حالاً"، و"للوقت"، وغيرهما.

- يُبرز مشاعر يسوع، فنراه "يحبّ" الشاب الذي سأله عن الحياة الأبديّة (١٠: ٢١)، و"يئنّ" عندما شفى الأصمّ (٧: ٣٤)، و"يتنهد" حين واجه قساوة الفرّيسيّين (٨: ١٢)، و"يتحنّن"، و"يتعجّب"، و"يغتاظ"، و"يغضب"، و"يحزن"، الخ (رج مر ٦: ٣٤؛ ٦: ٦؛ ١٠: ١٤؛ ٣: ٥).

- يهتمّ بالقصة أكثر منه بالتعاليم المجَرَّدَة، على خلاف متّى الذي يفرد فصولاً بكاملها لتعاليم يسوع وأقواله.

- يؤكد منذ البدايّة على حقيقة لاهوت المسيح: "بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله" (١: ١).

- الترتيب الزمنيّ المنظّم للأحداث.

وبما أنّ مرقس كتب لمسيحيّين من أصل وثنيّ، مقيمين خارج فلسطين، فقد اعتنى بأن يشرح لهم عادات اليهود وأعيادهم (٧: ٣-٤؛ ١٤: ١٢؛ ١٥: ٤٢)، وبأن يترجم لهم الكلمات الآراميّة (٣: ١٧؛ ٥: ٤١؛ ٧: ١١، ٣٤؛ ١٠: ٤٦؛ ١٤: ٣٦)، مشدّدًا على ضرورة إعلان الإنجيل للأمم، ودعوتهم إلى الوليمة الإفخارستيّة، والخلاص المشترك (٦: ٣٠-٨: ١٠).

٥ – تصميم الإنجيل

– بُنية زمنيّة وجغرافيّة: اعتمد مرقس التصميمَ الرسوليّ التقليديّ المستند إلى ترتيب زمنيّ وجغرافيّ يتمحور حول كرازة يوحنا المعمدان، وعماد يسوع وبشارته في الجليل (ف ١-٩)، ثم خارج الجليل (ف ١٠)، وأخيرًا في أورشليم (ف ١١-١٣)، انتهاءً بموته وقيامته في المدينة المقدّسة (ف ١٤-١٦) .

– **تصميم تعليميّ**: في إطار التصميم العام لإنجيل مرقس، يَبانُ لنا أنّ هذا الأخير قد اتّبع تصميمًا خاصًّا ذا توجّهٍ تعليميٍّ واضح المعالم، يمهّد له **بفاتحة** (١: ١–١٣)، وبانيًا إنجيله على **قسمين**، يفصل بينهما **اعترافُ بطرسَ** بيسوع مسيحًا (٨: ٢٧–٣٠)، وهو بمثابة ذروة أو نقطة بلوغ، وفي الوقت عينه نقطة انطلاق:

– القسم الأول (١: ١٤–٨: ٣٠): ما قبل الاعتراف، أو **سرّ المسيح**؛

– القسم الثاني (٨: ٣١–١٦: ٢٠)، ما بعد الاعتراف، أو **سرّ ابن الإنسان**.

– نتبيَّن في **الفاتحة** شخصيّة يسوع "المسيح" و"ابن الإنسان" في **لوحات ثلاث**: بشارة يوحنا المعمدان (١: ١–٨)، واعتماد يسوع (١: ٩–١١)، وانتصاره على إبليس (١: ١٢–١٣).

١/٥) سرّ "المسيح" (١: ١٤–٨: ٣٠): في القسم الأوّل، المركَّز على سرّ المسيح، يُلزم يسوع تلاميذه بألاّ يعلنوا لأحد ما أعلنه لهم، أي أنّه المسيح الآتي، وبحفظ سرّه المسيحانيّ. لذلك لا تَرِدُ لفظة "المسيح" في كلّ هذا القسم سوى في المقدّمة وفي اعتراف بطرس. **موضوعات** هذا القسم **ثلاثة**: اقتراب الملكوت، وماهيته، وانتشاره، ويتكوَّن كلٌّ منها من مُلَخَّصين: أحدهما عن **يسوع**، والثاني عن **رسله**.

– **اقتراب الملكوت (١: ١٤–٣: ٦)**: يبدأ مرقس بمُلَخَّص عن يسوع (١: ١٤–١٥)، ثمّ بآخَر عن الرسل (١: ١٦–٢٠)، يُتبعهما بخمس آيات، وبخمسة جدالات، ويختم بموقف الفرّيسيّين والهيرودسيّين المناوىء ليسوع (٣: ٦).

– **ماهية الملكوت (٣: ٧–٦: ٦)**: يبدأ مرقس هنا أيضًا بمُلَخَّص عن يسوع (٣: ٧–١٢)، ثمّ بآخَر عن الرسل (٣: ١٣–١٩)، يُتبعهما بخمسة أمثال، وبأربع آيات، ويختم بموقف أهل الناصرة المزدري بيسوع (٦: ١–٦).

– انتشار الملكوت (٦: ٧–٨: ٣٠) : لدينا هنا أيضًا مُلَخَّص عن يسوع (٦: ٦)، و آخر عن الرسل (٦: ٧–١٣)، تليهما رواية مقتل يوحنا المعمدان، وستُّ آيات، وجدالات، وموقفٌ مؤمنٌ لبطرس وللرسل بيسوع (٨: ٢٧–٣٠).

٢/٥) سرّ "ابن الإنسان" (٨: ٣١–١٦: ٢٠)

يكثر مرقس في هذا القسم من استعمال التسمِيَتَين "المسيح" (٦ مرات)، و"ابن الإنسان" (١٢ مرة)، ويُدرج فيه أيضًا **ثلاثة موضوعات** هي التالية: مصير ابن الإنسان، ومصير أورشليم، وآلام يسوع وقيامته.

– **مصير ابن الإنسان (٨: ٣١–٥٣)**: يُطلع يسوع تلاميذه على مصيره، ويُنبئهم، في مُلَخَّصات ثلاثة، بآلامه وموته وقيامته، ويتجلّى على جبل عال، تسبيقًا لمجد قيامته، ويتجادل مع الفرّيسيّين وتلاميذه حيث يوضح من خلال ذلك تعاليمه.

– **مَآل أورشليم (ف ١١–١٣)**: يدخل يسوع أورشليم على وقع هتاف الهوشعنا، ويبادر إلى تطهير الهيكل؛ وفي جدالات خمسة يُفحم رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والفريسيّين والهيرودسيّين والصدّوقيّين، ويُنبئ بدمار أورشليم وهيكلها.

– آلام يسوع وقيامته (ف ١٤–١٦): بملءِ إرادته يَتقبّل يسوعُ مصيرَه في أورشليم. يُدهَنُ بالطّيب تسبيقًا لدَفْنِه، ويودّع تلاميذه في عشاءٍ أخير معهم، وينتقل إلى بستانِ الزيتون في جتسماني حيث يصلّي معربًا عن خضوعه التامّ لمشيئة أبيه. تؤلمه خيانة يهوذا، ويحكم عليه بالموت مجلسُ اليهود وبيلاطس الرومانيّ، ويُصلَب على خشبة ويُدفَن، لكنّه يُبعَث من الموت حيًّا، ويَتراءى لتلاميذه الأحد عشر، الذين يُرسلهم ليبشّروا العالم كلّه بالإنجيل، مؤيّدًا كلماتهم بالآيات.

٦ – لاهوت الإنجيل

في القسم الأول من الإنجيل يُبدي مرقس حرصًا على كتمان "مسيحانيّة" يسوع، مكتفيًا بما يُثبت هذه الأخيرة، وذلك من خلال ما يلي:

– **الآيات**: يورد مرقس خطبة الأمثال (ف ٤)، وخطبة النهايات (ف١٣)، كما خطبة الرسالة (٦: ٨–١١)، وخطبة الويلات (١٢: ٣٨–٤٠)؛ بالمقابل، يستفيض في الإخبار عن عجائب يسوع، فيَروي ١٤ آية، تحتلّ ما يقارب ثلث الإنجيل، هي دليل على أنّ يسوع يحظى بتأييد اللّه، وعلى أنّ ملكوت اللّه قد حلّ، وعلى أنّ يسوع ذو قدرة إلهيّة؛ ويُبرز مرقس بوضوح أَمْرَ يسوع لتلاميذه بألاّ يخبروا أحدًا بهذه الأمور.

– **طرد الأرواح الشريرة:** يُفيد مرقس عن طَرْد يسوع أربع مرَّات لأرواح شريرة، وانتصاره عليها كتسبيق لانتصاره النُّهَيْوِيّ، وعن شهادة الشرّير أنَّ يسوع هو ابن اللّه، كما عن شهادة الآب له (١: ١١؛ ٩: ٧). هنا أيضًا يأمر يسوع الشرير بالصمت حفظًا للسرّ.

– **الجدالات:** يُضمّن مرقس إنجيلَه العديدَ من الجدالات، إذ يستهلّ يسوعُ بشارته في الجليل بخمسة منها (٢: ١–٣: ٦)، ويختمها في أورشليم بخمسة أخرى (١١: ٢٧–١٢: ٣٧)، ومن خلالها، وبسلطان، يضع نظامَ حياةٍ جديدًا.

– **الأمثال:** في إنجيل مرقس يتكلّم يسوع بالأمثال، بهدف أن يُخفي عن الجموع مسيحانيّته التي يكشفها فقط للتلاميذ (٤: ١١–١٤). فلقد حرص يسوع على كتمان مسيحانيّته في القسم الأول من إنجيله، ليعلنها في القسم الثاني منه، على أثر اعتراف بطرس به مسيحًا، وذلك في صِلَةٍ بآلامه وموته وقيامته. لقد تحاشى إعلان مسيحانيّته كي لا تؤخَذ بمعنى سياسيّ، من جهة، وبهدف تقويم نظرة العهد القديم إلى المسيح الموعود أو تكملتها، من جهة أخرى.

خاتمة

على خلاف باقي الإنجيليّين، يبدو أنّ همَّ مرقس الأساسيّ هو حَمْلُ البشرى السارّة، ألا وهي أنّ يسوع الناصريّ هو المسيح ابن اللّه (١: ١)، وهذه البشرى هي موضوع إيمان الكنيسة الرسوليّة بالمسيح. يعمل مرقس على التوفيق بين يسوع الإنسان ويسوع الإله، بين "المسيح ابن الإنسان" المتألّم و"المسيح ابن اللّه" الممجَّد. من الواضح أنّ مرقس يقرأ حياةَ يسوع التاريخيّة على ضوء الفصح والقيامة.